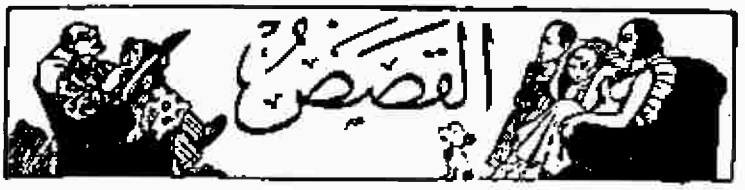

الأحـــلام

مسرحية للكاتب الانجليزى ارك براوول [1]

ترجمة الأستاذ على محمد سرطاوى

أشخاص المسرحية :

إيف (حواء) وهى فتاة جميلة فى الثامنة عشرة من العمر
الجد : وعمره فوق الثانين
روح
طيف
أمير
امرأة

مناظر المسرحية :

(منزل الجد : غرفة مريحة كسيت جدرانها بألواح من خشب البلوط قد عبث بها الدهر . فى طرفها موقد كبير يتأجج فى ناره حطب جزل . ضوء الغرفة شاحب مضطرب ، يتألف معظمه من لهيب النار . هى غرفة تتراقص فيها الأشباح ويتراءى فيها هدوء عميق شامل . جلس الجد أمام الموقد ، وقد أحنت ظهره السنون ، وقد راح ينفث الدخان من غليون يمالئه فى القدم . ويبدو فى مطلع المسرحية هادئاً لا يتحرك إلا قليلا .

وجلست إيف أمام الموقد ، منحرفة عن النار قليلا ، وقد ترامت على وجهها ظلال اللهب ، وتدل نظرات وجهها على القلق والحيرة . وكلما امتد شوط المسرحية يبدو معنى اسمها (حواء) واضحاً جلياً . أما لباسها فيترك لذوق المخرج وفنه وكل مايتصل بحوادث المسرحية نفسها فإنا أخذ نصب عينيه أن يقلل من أهمية الزمن للشاهدين فقد يوفق كثيراً

وحينما ترتفع الستارة ، تقف إيف ناظرة إلى الباب . ولا داعى مطلقاً لتطلع الصمت الذى تستغرق فيه . وعند ما يبتدئ الحوار يجب أن يكون هادئاً وبطيئاً)

الجد : فيمَ تفكرين يا بنيتى ، وماذا يدور فى خلدك ؟

إيف : (فى بطء) أفكر قليلا فى أمور خطيرة ، وكثيراً فى أمور تافهة !

---

(١) المؤلف : كاتب انجليزى معاصر كتب هذه المسرحية ونشرها عام ١٩٣٥ وهو فى نيوزيلندا

الجد : أصحيح ما تقولين ؟ إذا لم تخنى الذاكرة ، فقد كانت أمك كذلك ، وكانت أمها مثلها .

إيف : نعم ! إننا من طينة واحدة . ما أغرب ذلك .

ألا يدعو أمر من هذا النوع إلى العجب !

الجد : لا يدعو إلى الغرابة إلا السر المجهول ، وحتى ذلك لا يبدو غريباً إذا اتصل بعلم الإنسان !

إيف : (متهدة) نعم يا جدى !

الجد : لماذا تتنهدين يا وردتى الدابقة !

إيف : لماذا تتنهد كل امرأة ؟

الجد : حقاً ... لماذا ... ؟ لقد حيرنى هذا الأمر طويلا !

إيف : آه .. ترى لو قيل لى اختارى شيئاً واحداً بمفرده من الدنيا بأسرها ، فهل كنت أستطيع ذلك ؟

الجد : لا تتعلق بأمل واحد ، مخافة أن تمر بك آمال أخرى فلا تلتفتين إليها فى سير الحياة !

إيف : لست أعرف بالضبط أملا واحداً أهفو إليه .

الجد : أكان هذا سبب تنهدك ؟

إيف : نعم ... إنه لكما تقول . يربك حدثنى عن ماضيك البعيد يا جدى ؟

الجد : إنه عمر حافل ، فكاد صوره تفلت من ذاكرتى . (يتنهد) والذى أعرفه أنه كان طويلا جداً .

إيف : إذن فى مقدرك أن تخبرنى عن أثمن شىء فى الدنيا ؟

الجد : إن أثمن شىء فى الحياة يا بنيتى ، هو الشىء الذى لا تصل إليه يد الإنسان ، والإخفاق هو أساس التقدير . لا تنسى خيالك المرهف بأفكار معقدة من هذا النوع .

إيف : لست أنا التى تضطرب فى مهب هذه الأفكار ، ولكنها هى التى تدفعنى إلى الاضطراب دفعاً عنيفاً فى تيارها .

الجد : إن كل إنسان فى الدنيا يتمنى أن يحصل على الصحة والثروة والسعادة .

إيف : (متفكرة) الصحة ... والثروة ... والسعادة .

الجد : لا أعرف إنساناً اجتمعت عنده هذه الأمانى الثلاث ، وقلما أدرك أحد أمنيتين منها ؛ وإذا كان فى استطاعتك الحصول على واحدة منها فإن حظك لسعيد .

إيف : (فى رقة) نعم — يا جدى . (تشير فجأة إلى النار) آه ! انظر !

الجد : ما ذا ؟

إيف : لقد تلاشى . آه .. آه .. لقد خيّل إلىّ أننى أرى شبحاً صغيراً يرقص فى اللهيب .

الجد : إنك مرهفة الإحساس ، وكثيراً ما يرى صاحب هذا الإحساس أحلاماً غريبة .

إيف : وكثيراً ما أراه هناك حينما أفكر كثيراً (بسذاجة) لماذا أحلم دائماً بالآمال .

الجد . (مدمدماً) إن الأحلام لا تضر أحداً .

إيف : أحب أن أتمنى الثروة لأننا فقراء —

الجد : لكن لا تنسى أن الثروة كثيرة ما تسير فى ركابها التعاسة !

إيف : إذن سأتمنى السعادة .

الجد : هل فى استطاعتك أن تكونى سعيدة بغير صحة ؟

إيف : آه . لقد فاتنى أن أتمنى الصحة التى هى أثمن شىء فى الحياة (فى تصميم) نعم — نعم سأتمنى الصحة . ولكن إذا لم أتمن الثروة فسنظل فقراء ، ولم أعرف أن الفقر حل السعادة لنا فى الماضى ، فأريد أن أتمنى الثروة أيضاً . وما دمت ترى أن الثروة لا تجلب السعادة ، فأود أن أتمنى السعادة أيضاً . (بحرارة) آه .. يا أبت — لقد تمنيت الثلاثة مجتمعة بدلا من واحدة !

[يداعب الضاحى عينى الجد ، فيأخذ رأسه فى حركة بطيئة يميل إلى الأمام ، ويستقر على صدره — وترتخى يده الممسكة بالمنديل فيسقط على صدره أيضاً . تحدد النار فجأة .. يمر بالغرفة تيار مفاجئ يتراقص فى جوها الأشباح — تحلق أيضاً فى اللهب مبهورة — وعلى غير توقع تسمع من وراءها — من الظلام صوتاً يقول :]

الروح : ولكن ليس فى مقدورك الحصول على الثلاث معاً.

إيف : لماذا ؟ من أنت ؟

الروح : أنا روح اللهيب الذى لا يفنى — أنا الذى يمنح الأمانى النادرة للذين يستطيعون الاختيار .

(ترى إيف الروح الآن فى الظلام فتى يعتصم به غير جل — وقد بها كتلة من السواد لا تستطيع تبيان شكله . فى استطاعة المخرج أن يطلق لفته الفنان فى الترتيب)

إيف : (فى شىء من السرور) يا للسماء ! لقد رأيتك ترقص فى اللهيب .

الروح : آه .. نعم . إننى أرى فى كل نار — فى نار الشباب — وفى نار الحب — وفى نار الطموح .. !

إيف : ولماذا أتيت إلى !

الروح : لأحضر لك هدية !

إيف : (تمد يداً بيد) ما أجمل ذلك . ما هى ؟

الروح : أثمن شىء فى الدنيا !

إيف : (فى لهفة) ولكن ما هو ذلك الشىء ؟

الروح : إن اختياره يتوقف عليك .

إيف : (باكية) ولكننى لا أعرف .

الروح : يجب عليك أن تختارى .

إيف : (فى شك) كيف فى استطاعتك إعطائى ما أختار !

الروح : أستطيع أن أعطيك شيئا واحداً — أىّ شىء — على أن يكون من اختيار نفسك ومن غير إيحاء الآخرين .

إيف : ولكن جدى الذى تراه يغط فى نومه أمام النار يقول إن أثمن ثلاثة أشياء فى الدنيا هى الصحة والثروة والسعادة كيف أستطيع اختيار واحد منها ؟

الروح : هنالك أشياء أخرى (عذراً) ولكن تذكرى أنك لا تملكين إلا شيئاً واحداً فقط .

إيف : يبدو لى الأمر أكثر صعوبة مما توقعت . على أن لا أكون متهورة فى الاختيار .

الروح : (بعد صمت) هل اخترت ؟

إيف : واأسفاه ! لم أستطع . أليس فى إمكانك مساعدتى ؟

(يتلاشى خيال الروح مبتعداً فى الظلام)

إيف : أرجوك البقاء ! لما أختر ! أريد أن أكون أكثر روية وحذراً !

الروح : أوه ! أود مساعدتك ! سأريك الصحة والثروة والسعادة . ولكن اذكرى دائماً أن هنالك أشياء أخرى غيرها فى الحياة .

إيف : كيف ؟ أيمكننى أن أرى ذلك ؟

الروح : (فى غضب) سأريك ذلك . لا تسأليني كيف!

إيف : إننى لشديدة الأسف ! (بعد صمت) أرجو أن لا أكون قد أسأت إليك .

(لا تسمع جواباً . تفتش الغرفة . لقد اختفى)

إيف : (مضطربة) أرجو أن لا أكون قد أسأت إليه .

(قرع عنيف على الباب)

إيف : آه .. من الطارق ؟

(تقترب من جدها لتوقظه ، ولكنها تتوقف عن ذلك ... تتراجع إلى الباب ماشية على رؤوس أصابع رجليها . تفتح الباب . يدخل شاب جميل يتقدم)

الطبيب : عمى مساء . أرجو أن تتفضلى بالعفو إليكم فى مثل هذه الساعة المتأخرة من الليل . لكنها زيارة لم أجد بداً منها .

إيف : هل طلب ذلك إليك أحد ؟

الطبيب : لم يطلب إلى ذلك ! الفرق طفيف ... أكرر اعتذارى مرة ثانية ؟

إيف : آه .. لم نرسل فى طلبك أبداً ! أتريد أن تقابل جدى ؟

الطبيب : رغبة من هذا النوع لم أفكر فيها !

إيف : إذن لماذا أتيت ؟

الطبيب : أتيت لأراك !

إيف : أرجو أن توضح ذلك !

الطبيب : إننى طبيب كمعظم الأطباء ، غير أننى أختلف عنهم قليلا .

إيف : فى أى شىء تختلف عنهم !

الطبيب : إننى لا أعالج مرضى .

إيف : لا تعالج مرضى ! ألا يبدو كلامك غريباً !

الطبيب : غريباً ! لماذا يبدو لك غريباً !

إيف : (بصراحة) حسناً ! إذا كان ما تقوله صحيحاً فإنك طبيب غير ماهر لا يستعمل معرفته وفنه .

الطبيب : لكننى من طراز نادر من الأطباء .

إيف : إذن لماذا لا تعالج المرضى !

الطبيب : لا أعالجهم لأننى لا أستطيع شفاء أمراضهم !

إيف : (فى لهجة قاسية) لست طبيباً أبداً !

الطبيب : ما الذى يدعوك إلى هذا الظن ؟

إيف : لأنك لا تستطيع شفاء المرضى .

الطبيب : (فى لطف) لا أستطيع شفاء المرضى لأننى لا أراهم ولعلك تلاحظين الآن الفرق جلياً .

إيف : بالتأكيد . هنالك فرق عظيم .

الطبيب : وإن حزناً غريباً ليمتادنى من وقت إلى آخر .

إيف : قد يكون ذلك صحيحاً .

الطبيب : لا تبصر عيناى المرضى على كثرة عددهم . لا ترى عيناى غير الصحة فى أجل وأروع مظاهرها .

إيف : إن ذلك يبدو غريباً محيراً .

الطبيب : لقد مر ألف عام على ، لم أجد فيها مريضاً واحداً أجرب فنى فى معالجته .

إيف : (غير مصدقة) ألف عام ؟

الطبيب : (متلطفاً) هل بدا لك ذلك مخيفاً ؟

إيف : أه . ربما ... لا ... لا

الطبيب أتظنين أن ملامح وجهى تدل على عمرى

إيف : أبد . أنك تبدو قوياً ، جميلا ، فاتناً

الطبيب : شكراً لك . إن هذه النقطة مهمة جداً

[يتململ الجد ويسمع لاستيقاظه صوت]

الجد : (يتململ فى جلسته) لقد غلبنى الكرى على أمرى

إيف : نعم يا أبت

الجد : من هو هذا الشاب يا إيف ؟

الطبيب : عم مساء يا سيدى الشيخ الوقور

إيف : إنه طبيب يا أبت . هكذا اخبرنى

الجد : (مرتجفاً) طبيب ! هل نحن فى حاجة إلى طبيب ! أكرر قولى هل نحن فى حاجة إلى طبيب يا إيف ؟ (إلى الطبيب) لماذا أتيت ؟

الطبيب : أتيت لأشاهد جمال حفيدتك الساحر الذى تحدثت به الركبان فى كل مكان ذهبت إليه فى البر والبحر .

الجد : وماذا تريد ؟

الطبيب : أريد أن أطلب يدها للزواج

الجد : أتعنى ما تقول ؟ إن هذا أول طلب أسمعه . هل فى استطاعتك إسعادها ؟

الطبيب : كيف تريد أن تكون سعادتها

الجد : بمتاع الدنيا

الطبيب : لا أحب متاع الدنيا وما فيها من وهم وغرور

الجد : (بلهجة جافة) ولكن حفيدتى تحب ذلك ما هى ثروتك؟

الطبيب : أتريد ثروة الجسد ، أو ثروة الروح ، أو ثروة المادة البراقة الخادعة ؟

الجد : لا تدر حول الحقائق . أريد المادة . وأعنى الثروة

الطبيب : إننى لا أملك يا سيدى شيئاً من ذلك أبداً . إن مهنتى قد علمتنى أن لا أقيم وزناً لأمور تافهة من هذا النوع . إن الجمال فى حاجة إلى الصحة ، وفى مقدورى أن أمنحها ذلك ، كما فى استطاعتى منحها أموراً أخرى .

إيف : ما هى الأمور الأخرى ؟

الطبيب : لا أعطى ما عندى إلا لأولئك الذين يغمرونني بالحب ورغماً عن طلبى بدها للزواج فأريد منها الحب قبل أن أمنحها أى شىء . وسوف ترى كيف يصنع الحب المعجزات ويذيل السعادة

إيف : انتهى كل شىء بيننا . لا أحب هذه الصفقة . إننى راغبة عنها . إن التوفيق ينقصها .

الطبيب : إننى أعطى الصحة ولكننى أقتش عن الحب .

إيف : (غاضبة) اذهب إلى غير رجعة أيها الذى يطلب الحب ولايشعر به ، ولايسعى إلا الصحة ... الصحة ليس إلا ، لا أريد صحتك ... إن مرض الجسم ليس شيئاً بالقياس إلى مرض الروح إننى أرضى عن طيبة خاطر أن تهاجم الأمراض جسدى فى سبيل المحافظة على هناءة روحى . إذهب ... إذهب ... إذهب .

الطبيب : ما دام الأمر قد انتهى إلى هذه النتيجة ، فمن العبث الاستمرار فى الحديث . لن تتكرر هذه الفرصة التى أتيحت لك فرفضت عنها . أتمنى لك يا آنستى مساء سعيداً .

(يخرج الطبيب قبل أن يتلاشى صدى كلماته)

الجد : (يعود للكلام) . شاب غريب الطباع . ما رأيت على شاكلته أحداً قبل اليوم .

إيف : إنه لكما تقول . ويخيل إلى الآن انى كنت مسحورة . لقد كان جميلا جذاباً رائعاً . (يتسلط النوم على الجد فيغفو مرة ثانية) لا أستطيع أن أصدق أنه عاش ألف سنة ، ولعله لم يكن جاداً فى حديثه يا أبت . كم يكون جميلا أن تكون للإنسان صحة رائعة ثم لا يموت ، وأن يكون إلى جانب ذلك رائعاً فتاناً . ليتنى لست فى بعض حديثه معنى من معانى الحب . لقد ساورنى على جسدى فاحتقرته . من يدرى ! لعله يعود مرة أخرى .

(يظهر الروح مرة ثانية بين الظلال المتراقصة فى الغرفة)

الروح : إنه ان يعود إليك أبداً

إيف : أهو أنت مرة أخرى ! لقد روعتنى !

الروح : ألم تتوقعى حضورى ؟

إيف : لا

الروح : تقولين لا ... أن الانتظار يحمل فى ثناياه معنى الشك ، ويخيل إلى أن ليس لديك شك أبداً . لعلى مصيب فى رأيى !

إيف : لم أفهم معنى ما تقول

الروح : إننى أتكلم كما أعيش

إيف : بالكلام الذى لا يفهم

الروح : أليست الحياة لغزاً ؟ ألم تجديها كذلك ؟

إيف : إن جميع ما تحدثنى عنه غير واضح بالنسبة إلى أليس كذلك ؟

الروح : ليس فيه شىء غامض مطلقاً

إيف : أستميحك المعذرة !

الروح : هل احتفلت بالزائر الذى أرسلته إليك !

إيف : أأنت أرسلته ؟

الروح : نعم ألم تعرفى ذلك ؟

إيف : ربما ... لم أكن متأكدة !

الروح : وهل أجبته ؟

إيف : (مذعورة) ... لست ... حقيقة ...

الروح : (بصراحة) كما توقعت تماماً

إيف : (بهدوء) أبداً ... كيف عرفت ما كان يدور فى خواطرى !

الروح : هل كانت مهمته إذن غير موفقة

إيف : (فى حنان) بالتأكيد ... كما تقول

الروح : إن الأشياء فى حد ذاتها لا قيمة لها ، وإنما ترتفع تلك القيمة حينما تتلاقى الأضداد . إن التناقض أساس الانسجام فى الحياة . إن الانسجام هو الذى يولد السعادة

إيف : لقد أحسنت التعبير . لا فض فوك !

الروح : لست في حاجتك إلى معرفة المتناقضات ودراستها ، ليكون حكمك صحيحاً على طبائع الأشياء .

إيف : كيف ؟

الروح : (عتباً) لا تسألني أسئلة في هذا النوع

إيف : (بهدوء) آسفة جداً . عفواً

الروح : سأريك الثروة ، ولست أدري كيف يكون موقفك منها ؟

إيف : ولست أدري أيضاً

(تسمع أصوات أبواق خارج المنزل . يختفي الروح مرة ثانية . يبقى الجد مذعوراً من الأصوات)

الجد : ماذا تسمع أذناي ! يا للسماء !

(أصوات في الخارج تردد الأمير الأمير الأمير تسمع إيف الأصوات فتسرع إلى مرآتها تصلح هندامها . ينهض الجد متثاقلا إلى الباب ويفتحه)

الأمير : (من طرف المسرح) أهذا منزل إيف ؟

الجد : إن لي حفيدة بهذا الاسم !

الأمير : (يدخل) إذن أرجو أن تحضرها أيها الشيخ . أريد أن أقول لها كلمة .

(يبدو الأمير في ملابس حريرية مزركشة بالجواهر الكريمة النادرة قصير وضخم الجثة . يتلفت حواليه في قلق ظاهر)

إيف : (تشير إليه) إنني إيف التي تسأل عنها .

الأمير : (يمسح بشعور من الحب مقاصيره نحوها) آه . رحلة موفقة . إنها جميلة .

إيف : ماذا تريد أيها الأمير ؟

الأمير : (مرتبكا قليلا) أتيت لأحدثك عن الآن !

إيف : تحدثني عنك !

الأمير : نعم . فماذا تقولين ؟

الجد : لا ... إن هذا الأمر مستحيل . لقد مضى الموعد الذي تأوي فيه إلى فراشها .. قد مضى ... عليها أن ....

الأمير : (في غضب) أغرب عن وجهي أيها الأثر القديم . حاجب شعر لحيتك أمام النار .. إياك أن تنبس ببنت شفة !

(يتراجع الجد مذعوراً دون أن يقول شيئاً)

إيف : (في غضب) كيف تجرأت على قول هذه الكلمات القاسية لجدي .

الأمير : تقولين تجرأت أيتها الشابة . ومن غير الأمير يفعل ذلك ويأمر الناس ؟

إيف : (بجرأة) أنت تعتقد ذلك .. وربما ...

الأمير : إنني أعجب بجرأتك التي تماثل جمالك البديع .

إيف : (ببساطة) الجمال ؟ أترانى جميلة في عينك ؟

الأمير : جميلة ورائعة أكثر مما أصف ، وهذا الجمال هو الذي جذبني إليك .

إيف : هذا شيء يحيرني تماماً .

الأمير : لقد سمعت كثيراً عن جمالك وسحرك وجمال عينيك فأحببت أن يكون كل ذلك لي من دون الناس جميعاً .

إيف : لأية غاية تريد هذا الجمال ؟

الأمير : (متهيباً) إنك تحملين عقل طفل بريء ، وهذا من حسن حظي وعن طالعي . وهو مما يزيد في رغبتي فيك وحبي لك وتلهفي العزاء والراحة بالقرب منك .

إيف : هل الأمير في حاجة إلى مواساة من أحد ؟

الأمير : (في سرور زائد) إن لها لساناً ساحراً أيضاً ومنطقاً سلساً .

إيف : وماذا تريد مني ؟

الأمير : أريد ... نفسك وحسبي ذلك . (يخرج يداً قد أثقلت كفها الجواهر اللامعة) أنظري . إنني أدفع ثمن ما أريد منك غالياً . من هذا الجوهر الثمين . سيكون كل ذلك لك ... ولك وحدك !

إيف : الثروة ؟

الأمير : طبعاً !

إيف : (في هدوء) يخيل إلي أنني قد بدأت أدرك الحقائق .

الأمير : يسرني جداً أن أساعدك على ذلك .

إيف : كيف تساعدني ؟

الأمير : في فهم الأمور على وجهها الصحيح .

إيف : ليبدو لي أننا نتحدث عن أمرين متناقضين ، ونرى من نفسين مختلفين .

الأمير : إن الثروة فصيحة لا تحتاج إلى لسان .

إيف : (بمرارة) إن الحياة مع أمير لا تروق لي .

الأمير : (بلطف) معذرة يا آنسة ، لم يدر بخلدي أن أجعلك أميرة .

إيف : لكن ... لكن ظننت أنك قلت ....

الأمير : قلت إن ثروتى ستكون تحت تصرفك وهى كما ترين صفقة رابحة بالنسبة إليك وبالنسبة إلى ما ستقدمين لى من جمال وحب .

إيف : أوه ... الحب !

الأمير : لقد نسيت أن أذكر لك ذلك . أعطيك الثروة وتعطينى الحب.

إيف : أتعنى أنك تريد أن تتزوجنى ؟

الأمير : (ينتفض صارخا) كلا ، كلا . أحسب أننى قد أوضحت لك ذلك بصراحة لا غموض فيهـــا . إننى أقدم لك الثروة واللآلىء الفاخرة والمجوهرات .

إيف : وماذا تريد منى عندئذ ؟

الأمير : (بقهقهة) أريد منك أن تحيينى كما تفعل كل فتاة جميلة

إيف : لتتحدث الآن بصراحة مهما تكلفنا ذلك !

الأمير : إذن فقد اتضحت لك مقاصدى

إيف : تماماً بالضبط

الأمير : هل أنت راغبة فيها

إيف : كلا . بكل أسف .

الأمير : ولكن لماذا ؟

إيف : إن الزواج يتراءى خيالا جميلا ساحراً أمام عينى

الأمير : لماذا تنفر النساء كثيراً عن الزواج فى مناسبات من هذا النوع ؟

إيف : ألا توافقنى على ذلك ؟

الأمير : إن الزواج حيلة اخترعتها المرأة لترفع من شأن نفسها . دعينا من هذه الأمور السخيفة وامضى معى . لا أستطيع الزواج لأن زوجتى أميرة ولى محظيات غيرها

إيف : ما أقبح ذلك يا أيها الأمير

الأمير : ليس قبيحاً ما يبدو لك . إنما هى عادة اعتدتها . لقد وجدتها بعد التجربة مستحبة

إيف : إذن لماذا تحدثت إلى باسم الحب

الأمير : إننى أبحث عن الحب فى كل مكان . إنه الشىء الذى لا تستطيع ثروتى الحصول عليه . جربت أن أطلبه بثروتى فى محاولات متنوعة ، ولكننى عدت منها بخفى حنين . كثيراً ما يبدو لى هذا الأمر غريباً لأننى أدفع ثمن هذا الحب غالياً فلا أعثر عليه .

إيف : مرد ذلك الفشل إلى أنك لا تعطى من قلبك ثمن الحب ولكن مما تملك يداك

الأمير : أخشى أن يكون ذلك مستحيلا

إيف : (تنظر إليه) إنك لتجده حتما لو دفعت من قلبك ثمن الحب

الأمير : إذن ما الفائدة من الثروة إذا لم تكن وسيلة للحصول على شىء فى الحياة ؟

إيف : لست أعرف من الثروة ولا من فوائدها شيئاً

الأمير : تعالى ... لتعرفى كل شىء عنها

إيف : إننى آسفة لا يمكننى أن أفعل ذلك

الأمير : ولكن لماذا لا تريدين ؟ (فى لهجة منكسرة) لا بد من سبب دعاك إلى الرفض

إيف : لأنك سمين جداً وغير جميل

الأمير : (فى سخرية) كنت أظن أن بريق الجواهر سيذهب بنور عينيك فلا تبصرين عيوبى . وا أسفاه . إن المرء لا يستطيع أن يملك كل شىء .

إيف : ربما كان ذلك . ولكننى لم أجد صعوبة كثيرة فى اكتشاف ما فيك من العيوب

الأمير : إذن ترفضين طلبى !

إيف : رفضاً قاطعاً

الأمير : (فى لهجة حزينة) هذا ما كنت أخشاه . لقد رضيت بالغاية وكرهت الوسيلة . إن الثروة هى أحبولة الشيطان للمرأة ، ولم أجد غيرك امرأة لم تقع فيها .

إيف : إن ما تقوله صعب التصديق

الأمير : لقد ولت أحلام الحب ميتة بيننا . لقد أخفقت وانتهى كل شىء

إيف : أما أنا فلقد ربحت المعركة التى كنت أحسبنى مدحورة فيها

الأمير : نعم ، إن ذلك يدعو إلى التفكير

إيف : فكر ملياً فى سبب إخفاقك ، ولعل ذلك يعود

عليك بالخير الكثير

الأمير : (متذمراً) لا أجد شيئاً يبعث الراحة إلى قلبي غير الحب الذي أضناني التفتيش عليه لقد أخفقت فيما كان يداعب قلبي من أمان وأحلام . كم أتمنى أن أنام نوماً عميقاً في الليل ، وأترك الثروة التي لا تنيل الحب ، طالما عثاراً

إيف : أوه . أتجد النوم صعباً بالنسبة إليك

الأمير : إنه سوء الهضم أيتها الآنسة . إن الثروة لا تسير جنباً إلى جنب مع الصحة لقد دفعت ثمن الثروة غالياً من راحة جسدي . إنني ضعيف الإرادة .

إيف : إذا أصبحت إرادتك قوية فماذا تفعل ؟

الأمير : لعل الأمور تختلف آن ذاك . إرادة أي إنسان تقوى على الصمود أمام جمال فتاة ساحرة . إن الثروة تفتح أبواباً كثيرة ولا نعرف — إلا متأخرين — أن أبواباً أخرى لا تستطيع فتحها . لا أريد أن أعترف لك كثيراً ، ولكنني أندفع إلى ذلك تحت تأثير جمالك . أود لو أنني فقير بائس جميل الصورة فنجد السعادة بدلا من الحب .

إيف : أتحسب أن الفقر والحب لا يجتمعان ؟

الأمير : قد يكون ذلك صحيحاً أو غير صحيح . إنما مرد كل إلى طبيعة الإنسان .

إيف : (في عدوه) كل رأي مرده إلى طبيعة الإنسان ! والآن أرجو أن تذهب ، فإن بقاءك حتى الآن إلى جانبي لما يؤلم جدي إذا استيقظ .

الأمير : (بدون احتشام) ألا تعاودين النظر في أمري !

إيف : أبداً . أبداً ... جد آسفة . لن أرغب فيك مطلقاً .

الأمير : (متذمرا) إنني لا أحسن الهجوم . وهذا ذنبي (متجهماً) لكن الجواهر لا تزال معي . ما أقبح الحياة إذا لم يجد المرء فيها ما يغريه الإخفاق في حب امرأة . (صوت أبواق من الخارج) استمعي ! إن رجال حاشيتي قد قلقوا لتأخري . الوداع أيتها العذراء الطاهرة . أذكريني ... لا تجعلي ذكراي في نفسك مرتبطة بما تكرهين واذكري ... إنني قدمت إليك أحسن ما عندي . (يخرج) .

إيف : ما أثقل ظل هذا المخلوق القصير !

الروح : (يظهر) لقد بدا لي أنك لم تحتفلي به أبداً .

إيف : أبداً .. أبداً .

الروح : ألا يدعو ذلك إلى الأسف ؟ لقد كان لديه الشيء الكثير من الذي يتهالك الناس عليه في الحياة وكان راغباً في تقديمه إليك .

إيف : لقد تعلمت من ذلك أيضاً أن لدى ثروة نادرة أغلى من الدر والجوهر والذهب يطلبها الناس .

الروح : نعم . نعم . صدقت .

إيف : وعلى أن أكون حريصة على هذه الكنوز فلا أمنحها من لا يستحقها .

الروح : صحيح مرة أخرى . لكن الذي أريد معرفته : ما هو اعتراضك على صديق الأمير ؟

إيف : إنني لأحس في قرارة نفسي بالأسف على خيبته ، وإنه إحساس يملأ نفسي بالزهو أن أشعر بالأسف على فشل أمير لقد وجدته قد فقد الإدراك الصحيح لموازين الأشياء ومقياس الحقائق .

الروح : أما صديق الزائر الأول ، أفلم يفقد إحساسه بالزمن ! ألا يرك حيرتي : أيهما وجدت أكثر أهمية إدراك الزمن ، أم إدراك حقائق الأشياء ؟

إيف : إنك تسأل أسئلة محيرة أيها الروح !

الروح : إن الأسئلة المحيرة تتلب على أجوبتها الطرافة .

إيف : اسمح لي أن أقول لك إنني تعلمت كثيراً من صديقك وكثيراً جداً .

الروح : وماذا تعلمت أيتها الآنسة ؟

إيف : تعلمت أن الصحة لا تقيم وزناً للثروة ، وأن الثروة كثيراً ما تطلب الصحة .

الروح : يا للأسف ! هل اكتشفت ذلك ؟

إيف : ذلك ما تأثرت به على الأقل . وخيل إلي أنهما يفتشان عن السعادة . وقد يكون مبهجاً — إن لم يكن مغرياً — أن يعرف المرء ما هي السعادة . (تضم يديها) السعادة ! ترى أتكون السعادة أثمن ما في الدنيا ؟ لست أدري

الروح : أراك تتعجبين ؟ إن كثيراً من الناس على شاكلتك

إيف : أتستطيع أن تريني السعادة يا صديقي ؟

(يختفي الروح . تلتفت إيف حولها تسير إلى الوقد وهي تفكر تفكيراً عميقاً . يفتح الباب ، تدخل امرأة قصيرة الجسم يبدو على محياها الشحوب والإعياء)

إيف : (مذعورة) آه . لا شك أن هنالك خطأ . . ! ماذا تريدين أيتها السيدة ؟

المرأة : (في لهجة حزينة) أسفاً يا بنيتي ! ألا تعرفيني ؟

إيف : (تهز رأسها) لا

المرأة : (في حنان) إني أمك

إيف : أمي ؟ أمي ! لقد ماتت أمي !

المرأة : ألا تتذكرين تلك الأم ؟

إيف : لقد ماتت منذ زمن بعيد ، ومحا الزمن صورتها من خيالي .

المرأة : لقد ماتت جسدها ، أما روحها فلم تمت . إنها الشيء الذي لا يموت .

إيف : ولماذا جئت من العالم الآخر ؟

المرأة : لا تقولي هذه الكلمة فما بارحتك أبداً

إيف : وما هي غايتك من هذه الزيارة الآن ؟

المرأة : أتيت لأحدثك معي ، لقد بلغ جدك من الكبر عتياً ، ولسوف يسير جسده في الطريق التي تسير فيه الأجساد إلى نهايتها . سنذهب معاً وهناك تتمادين على حبي ، وستجدين السعادة معاً

إيف : ولماذا غبت عني طويلا !

المرأة : لم أعرف أن الفراق كان طويلا إلا الآن .

إيف : أني أرى حديثك غريباً . ماذا تريدين مني !

المرأة : أريد حبك ولا شيء آخر .

إيف : وماذا تعطيني إذا أنا منحتك هذا الحب ؟

المرأة : حنان الأم وحبها العميق . لا شيء ، غير ما لك في قلبي من حنين ، ومالي في قلبك من لهفة وشوق . لك مني الاطمئنان والسكينة والسعادة .

إيف : كيف أسعد الآخرين وأنا لا أجد الطريق إلى السعادة

المرأة : السعادة بين يديك إذا كان في مقدورك أن تحملي بين جوانحك حب الفتاة لأمها .

إيف : لقد سمعت الناس يتحدثون كثيراً عن الحب ؛ إنهم دائماً يطلبون ولا يعطون .

المرأة : أما بالنسبة إلى فإنك ستأخذين وتعطين . هذا هو السر . إن البساطة هي الطريق الصعب إلى السعادة .

إيف : إن البساطة مفتاح القناعة . لكن أين السعادة الحقيقية من ذلك . هل هنالك شيء يطلق عليه هذا الاسم ؟ هل السعادة حديث خرافة يا أم عمرو ؟ يخيل إلي أنها شيء معقد جبار يتألف من ألف فكرة ، ومن ألف عاطفة ، ومن ألف زخرة ، ومن ألف عذاب . إنها ليست شيئاً واحداً إنني لن أجد السعادة الحقة معك

المرأة : ولماذا لا تجدينها معي أيتها الابنة الفيلسوفة !

إيف : لأن ليس في استطاعة الإنسان أن يتذوق السعادة الخالصة إلا إذا شرب كؤوساً مترعة بالشقاء من يد الزمن . إن السعادة شيء بعيد جداً عن مجرد القناعة ، والسكون إلى حقائق الواقع المريرة . ليس في استطاعتنا الحكم على حقائق الأشياء دون الغوص إلى أعماقها .

المرأة : إن هذه الأفكار القوية لا تدور بخلد فتاة في عمرك

إيف : (ببساطة) أصحيح ما تقولين ؟

المرأة : بعد أن يتعبك السير في الطريق التي سترسمه لك الحياة ، وبعد أن تبدد اليقظة أحلامك الجميلة ؛ وبعد أن يتحطم الطموح فيك على صخرة الفشل — تعالي إلي — فستجدينني في انتظارك

إيف : أتحسبين أني الآن ذاك في حاجة إليك . ومع ذلك فإن السعادة هي الحلم الجميل الذي لا يستحيل إلى حقيقة ملموسة . ويبدو لي أنني سأحلم كثيراً ؛ وأتعلم كثيراً ؛ وأعطى شيئاً ليس بالقليل من عواطفي .

المرأة : سأنتظرك . سوف تمر بك ساعة تدركين فيها أن السعادة لا تتعلق بزمان ومكان . إنما هي سعادة الروح

إيف : ألا تحبين الصحة والثروة ؛ ما رأيك فيهما ؟

المرأة : أية قيمة للصحة حينما يموت الجسد ؟ وما نفع الثروة إذا لم يستطع الإنسان استبقاءها . وماذا يبقى بعد ذلك غير السعادة ؟

إيف : نعم إنك على حق . ولكن هل هنالك أمور أخرى في الحياة ؟

المرأة : (في لهفة) الأمر المهم بالنسبة إلى ذهابك معي

إيف : (تهز رأسها) كلا . لن أذهب معك ! أن العجز والهزيمة من الحياة أمر سهل جداً . أريد أن أحل ألغاز الحياة بنفسي . لن تهزمني الحياة أبداً . سأصمد لزوابعها

المرأة : سأكون في انتظارك اذكري ذلك جيداً .

إيف : سوف أتذكر ذلك

(تقف إيف مفكرة وعلقة في النار ، بينما تعود المرأة أدراجها من حيث أتت وتختفي)

إيف : هلم إليّ يا صديقي ! إليّ يا مانح الهبات ! ساعدني !

الروح : (يظهر) لبيك ! لقد حان الوقت . هل اخترت ؟

إيف : واأسفاه ! لم أستطع ، لأنني لا أريد الصحة ولا الثروة ولا السعادة . لا أريد هذه في حد ذاتها بعيدة عن المعاني الإنسانية

الروح : يخيل إلي أنك لم تتوقفي رؤيتها على الشكل الذي بدت لك فيه .

إيف : نعم

الروح : لا تنسي أن هنالك أشياء أخرى في استطاعتك اختيار منحة منها

إيف : نعم هنالك أشياء أخرى . أنك على صواب !

الروح : (في سأم) إنما عليك أن تختاري واحدة منها

إيف : لقد لاحظت أن الأشياء الثلاثة التي عرضتها علي ، كان كل واحد منها يزعم أن في مقدوره إعطائي كل ما أريده ، ومع أن كل واحد منها كان يمنح شيئاً يختلف عن الآخر ، إلا أنها جميعاً كانت تطالب مني ثمن ذلك

الروح : وما هو ذلك الثمن ؟

إيف : أنه الحب . أنها جميعاً كانت تفتش عن الحب فيخيل إلي أن الحب أثمن شيء في الوجود .

الروح : إنني لا أستطيع تقرير ذلك .

إيف : لقد ظهر لي ذلك واضحاً جلياً لا غموض فيه

الروح : إذن هل تختارين الحب كأغلى منحة !

إيف : كلا . لن أختار الحب . لأنه إذا كان من جانب واحد لم يكن حباً ، وإنما هو خداع الطبيعة لاستدامة النوع ومد جذوره إلى المستقبل في وجه مستمر من شهوة الجسد . ليس الحب إلا امتزاج روحين ، وتقارب قلبين وفناء جسدين في هدف لا يدرك . إنني لن أطلب الحب . ينبغي أن يأخذ الحب طريقه إلى القلوب بعيداً عن الأرادة والتوجيه . أن الحب الصحيح لا يطلب ، ولكنه كالجوهر النفيس تكتشفه القلوب في مسارب الحياة

الروح : إذن أي شيء تختارين

إيف : إذا كان لابد من الاختيار فأختار العقل . أنه ينجدني في الشدة ؛ فاختار اختياراً صائباً ، وأعيش حياة متزنة ، وأحب حباً صحيحاً . ثم سأختار العقل

الروح : (مقهقها) ها ... ها ... لا يختار العقل إلا إنسان مدرك عاقل . وأنت باختيارك لم تطالبي شيئاً جديداً . لقد طلبت ما هو لديك . أهذا كل ما تطلبين ؟ (يتهيأ بصوت مسموع) إنك يا آنستي العزيزة في غير ما حاجة إلى من يقدمه إليك ! ...

ها .. ها .. ها .. ها ....

(يتلاشى الروح)

إيف : (مفكرة) إنني لا أشك في سلامة عقلي

(ترجع إيف إلى وضعها الأول ، جالسة أمام الموقد ، محلقة في اللهيب ، تتلاشى الخيالات تدريجياً ويدوي في الدار ، وبعد فترة تحرك عينيها ، بينما يأخذ غطيط الجد يخفت ، ثم يفتح عينيه)

الجد : لقد غلبني الكرى على أمري

إيف : لقد أغمضت طويلاً يا أبت

الجد : ماذا كنت تصنعين أثناء نومي يا إيف ؟

إيف : كنت أفكر

الجد : تفكرين ! هل أمضيت كل ذلك الوقت في التفكير؟

إيف : نعم يا أبت

الجد : لا أحسب أنك فعلت ذلك ! ربما يخيل إليك أنك كنت تفكرين !

إيف : إنني واثقة من ذلك وتوقن بأنك كنت نائماً

الجد : إنك تفكرين كثيراً يا بنيتي ؛ بماذا كنت تفكرين !

إيف : أفكر قليلا في أمور هامة ، وكثيراً في أشياء لا أهمية لها ! أليس كذلك يا أبت !

الجد : إن أساليب النساء تعجز الفهم ، هلمي إلى فراشك

إيف : (تهمس) سمعاً وطاعة يا أبت وشكراً

(أصوات ضحك تنبعث من بعيد)

(يهبط الستار)

(النهاية)

علي محمد سرطاوي